Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنفس لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغى إذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه ألا يكون ذلك تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام(١) .

★ ★ ★

وقد رأينا فى هذا الكلام وفى تلك الآراء آثار فلسفة وتعمق فى دراسة الفن الأدبى ، وقد برزت فيها إلى حد كبير آثار التفكير العقلى الذى يشهد لعبدالقاهر وغيره من النقاد العرب بطول الباع فى الفحص عن جوهر الفن الأدبى ، ومايكون به تأثيره فى المتلقى ، ومايكون فيه من مظاهر القدرة على الإبداع عند المؤلفين شعراء أو خطباء أو كاتبين من ناحية جودة المضمون أو جودة التعبير .

ولكن هذا الصراع الذى احتدم فى التعصب لهذه الفكرة أو تلك لم يستطع الفن الأدبى أن يفيد منها فائدة ذات بال . وإن كانت الدعوة إلى الصياغة والانتصار لها قد أدت إلى البحث عن عوامل التصنيع وضروب البديع التى هى أدوات أو مظاهر لذلك التصنيع ، حتى ناءت بتلك الفنون المصنفات البلاغية التى حرص أصحابها على أن يحشدوا فيها مااستطاعوا أن يعرفوه ، وأن يضيفوا إليها مااستطاعوا أن يستخرجوه بأنفسهم ، حتى يكتب لهم فى تاريخ التفكير البلاغى أثر الاجتهاد وأثر الفطنة فى التنبه إلى وسائل الصنعة ، وفى القدرة على استخراجها من الأعمال الأدبية ، وبذلك تضاعفت تلك الفنون ، حتى عزت على الحفظ والاستقصاء فى أصولها وفى فروعها وأقسامها . وكان ذلك سبباً فى نشاط البحث البلاغى الذى اجتمع له من تلك الفنون الجمالية تراث حافل غنيت به البلاغة العربية . وكان ذلك التراث الحافل سبباً من أهم الأسباب فى استقلال الدرس البلاغى وتميزه وانفصاله مبكرا عن الدراسات الأدبية ، وتمحض لهذا البحث جماعة من أفذاذ العلماء تخصصوا فيه ، وألفوا فيه كتبا كاملة ، بعد أن انتقلوا من مرحلة الاستنباط والجمع إلى مرحلة التقنين والتحديد والتقسيم ، ثم إلى مرحلة الفحص عن أسباب الجودة وعوامل التأثير فى تلك الفنون ، والموازنة بين الأدباء فى استعمالهم لهذه الفنون .

---

(١) انظر (الإيضاح) للخطيب القزوينى ٥٣/١ و (دلائل الإعجاز) ١٩٧ وكتابنا (البيان العربى - دراسة فى تطوير الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى) ص ٢٢٦ وما بعدها من الطبعة الرابعة .